القدوةُ فى القُرآنِ الكريمِ

إعداد الدكتور

عبداللطِيف أحمد السّيد سُليمان

إمام وخطيب مسجد نادى سبورتنج بالأسكندرية

دكتوراه القانون المدنى بكلية الحقوق

جامعة الأسكندرية

القدوة في القرآن الكريم

عبداللطيف احمد السيد سليمان
إمام وخطيب مسجد نَادى سبورتنج بالأسكندرية
البريد الإلكتروني:Abdellatifr47@gmail.com

ملخص البحث:

إن الله تبارك وتعالى قد أكرم هذه الأمة بهذا النبي الكريم؛ سيدنا محمد ﷺ؛ وجعله هاديا وداعيا إلى صراط الله المستقيم. وأنزل عليه القرآن الكريم؛ نبراسا ينير الطريق للسالكين؛ ويأخذ بايدي المتعثرين وهذا الكتاب قد أورد الله فيه قصصا معجزة؛ وتحدث فيه عن قدوات في الخير حثنا على اتباعهم؛ أولئك هم الأنبياء والرسل (عليهم الصلاه والسلام). وكذلك فيه من قصص الصالحين الذين يقتدى بهم في صالح الأعمال؛ وما من شك أن المجتمعات في أمس الحاجة إلى قدوة صالحة تسلك بهم الطريق إلى النجاة والبعد عن المهالك؛ في ظل ما يعرض علينا من نماذج سيئة في هذا العالم المفتوح وما فيه من وسائل تواصل حديثة مثل (الشبكه العنكبوتيه – الانترنت).

فأردت بهذا البحث أن أرشد إلى من يقتدى بهم في الخير؛ ولا نكتفي بذلك؛ وإنما نصنع أهل الفضل قدوات لهذا الزمن الذي نعيشه؛ ونبين سهولة ذلك الأمر حينما نتبع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن نؤكد أن الدعوة إلى الله تعالى ليست بالقول فقط؛ وإنما بالقدوة التى يمكن أن نسميها الدعوة الصامتة؛ التى تؤثر أكثر من الكلام. وحينما نتحدث عن القدوة وخاصة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أوى أحد ممن رحلوا عن الحياة؛ فكأننا نحيهم ونعاصرهم ونؤكد حبنا لهم؛ وفي الحياة كذلك نماذج يمكن الاقتداء بها؛ وإن كان الموضوع لا تكفي فيه

هذه الصفحات القليلة؛ لاتساع مراميه وكثرة أهدافه ومعانيه؛ وتلك إشكالية. لكن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. والله وحده المستعان.

الكلمات المفتاحية: القدوة؛ القرآن الكريم؛ الصامتة؛ نبراسا؛ حجج؛ الزيغ؛ المتيقظ.

Role Models in the Holy Qur'an

Abdellatif Ahmed Al-Sayed Soliman.

Imam and Preacher at the Mosque of the Sporting Club in Alexandria, PhD in Civil Law, Faculty of Law, Alexandria University

Email: **Abdellatifr47@gmail.com**

Abstract:

Indeed, Allah, Blessed and Exalted be He, has honored this nation with the noble Prophet Muhammad (pbuh) and made him a guide and a caller to His straight path. This book contains miraculous stories and talks about role models, urging us to follow them. These are the Prophets and Messengers, peace and blessings of Allah be upon them. It also contains stories of righteous people whose good deeds are to be copied by people. There is no doubt that societies are in dire need of good role models who can lead them on the path to salvation in our open world that has bad examples for people, especially because of the Internet. This research spots the light on those who must be followed as role models and also helps at making new role models, which can be easy if we follow the holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet (pbuh). This study affirms that the call to Allah Almighty is not just in words, but by example, which may be referred to as the silent call that can be more effective than words.

Keywords: role model - the Holy Quran - silent – beacon – arguments – going astray – on the alert

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين. المحمود على كل حال. وأصلى وأسلم على سيدنا محمد. الذى بلَغ الرسالة وربى الرجال. صلاة وسلًاما عليه ننعم بها عند ذى العزة والجلال.

أمّا بعد ،،

فما من شك أننا بحاجة مُلحة إلى وجود من نقتدى بهم في الحياة، ونسير على نهجهم، كى يمدوننا بما يثبتنا على الطريق، فنصل من خلالهم إلى خير السّبل. فكان من رحمة الله بنا أن أرشدنا إلى من اصطفاهم وأحبّهم، وبيّن لنا أعلامهم وأوصافهم، حتى نقرأ عنهم، ونستضيئَ بهديهم. ونعمل بعملهم، وننشر عنهم سلوكهم وجميل أخلاقهم ، دلالة غلى الخير ليعم النفع بهم .

فالقدوة الصّالحة إنّما تكون بمن فضلهم الله واختارهم، وأحبّهم ورفع مقامهم، وكان في الصّدارة من هؤلاء رسل الله وأنبيائه (عليهم السلام جميعًا). ثم بيّن الله لنا طريقة الاقتداء كذلك بالصّالحين ممّن تبعوهم بإحسان. وكلما كثُر العدد فيمن نقتدى بهم سهُل علينا تجاوز الصّعاب، والفوز يوم الحساب. وقد حفل القرآن الكريم، وسنّة النبي ﷺ بتلك النماذج الطيبة، حيث خلّد الله ذكرهم بما تركوه في الحياة من أثر جميل. جعل النّاس يحبونهم، وفى المواقف المتشابهة يقلّدونهم .

إنّنا في هذه الأيام أحوج ما نكون إليهم، من أي زمن مضى، خاصّة إذا شعرنا أحيانا كثيرة بالغربة في هذه الحياة، حيث كثُرت فيها الفتن، ولبست أثوابًا متعددة، ولا يثبت أمامها إلا من ثبته الله تبارك وتعالى. فالتماس القدوة مهم، وحتى يكون للقدوة أثرها المطلوب فلابد وأن نقرّبها إلى الأذهان، بالحديث عنها، ليسهل تقليدها، فلا ينكر أحد أن لها عظيم الأثر في الهداية، والبعد عن الزيغ والغواية، فهى تمثل الدّعوة الصامتة للثّبات على الحقّ .

ولهذه الأسباب وغيرها، كانت كتابة هذه السّطور في بحث بعنوان (القدوة في القرآن الكريم) للفتِ الأنظار إلى الهداة المهتدين للاقتداء بهم، والبُعد عمّن خالفوهم، وأرجو الله أن ينفع بها، وأن تكون خالصةً لوجهه الكريم.

وقد انتظم البحث في ستة مطالب على النّحو التّالى:

المطلب الأول: أهمّية القدوة

المطلب الثاني: نبيّنا محمد ﷺ، هو المثل الأعلى والقدوة.

المطلب الثالث: الاقتداء بسائر الأنبياء والمرسلين.

المطلب الرابع: الاقتداء بالصالحين.

المطلب الخامس: الاقتداء بالآباء.

المطلب السادس: القدوة السّيئة بالأشرار، وأثرها.

المطلب الأول

أهمّية القدوة

إنَّ موضوع القدوة من الموضوعات المهمة جدًّا في حياة البشرية، فالقدوة الحسنة هي الركيزة في المجتمع، وهي عامل التحوُّل السريع الفعَّال، فالقدوة عنصر مهم في كلِّ مجتمع، فمهما كان أفراده صالحين، فهم في أمَسِّ الحاجة للاقتداء بالنماذج الحيَّة، كيف لا وقد أمرَ الله نبيَّه ﷺ بالاقتداء، فقال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[١].

وتشتدُّ الحاجة إلى القدوة الحسنة كلَّما بَعُد الناس عن الالتزام بقِيَم الإسلام وأخلاقه وأحكامه، كما أنَّ الله – عزَّ وجل – حذَّر من مخالفة القول الفعلَ الذي ينفي كون الإنسان قدوة بين الناس، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢].

وقد عُرِّفت القدوة بأنها: "إحداث تغيير في سُلُوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه، عن طريق القدوة الصالحة؛ وذلك بأن يتَّخذ شخصًا أو أكثر يتحقَّق فيهم الصلاح؛ ليتشبَّه به، ويُصبح ما يطلب من السلوك المثالي أمرًا واقعيًّا ممكنَ التطبيق"[٣].

ودين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهِمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوة حسنة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم نبيُّنا محمد ﷺ ولذلك جعَله الله لنا أُسوة وقدوة، بل وأمرنا بذلك، فقال:

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٢) سورة الصف، آية ٢.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، للنحلاوى، ص ٢٥٧ .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "في الآية دلالة على فَضْل الاقتداء بالنبي ﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا مَحالة"(٢).

وقال ابن كثير: "هذه الآية أصل كبيرٌ في التأسِّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله)"(٣).

قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام بعد أن ذكَر ثمانية عشر نبيًّا: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٤).

وهذا يدلُّ على عِظَم أثر القدوة في تشكيل الشخصيَّة الإنسانيَّة، ويُرجع الميداني هذا التأثير إلى عدة أسباب ركَّز عليها الإسلام؛ منها:

١- أن في فطرة الإنسان ميلاً قويًّا للاقتداء.

٢- أنَّ المثال الحي الذي يتحلَّى بجُملة من الفضائل السلوكيَّة، يُعطي غيرَه قناعة بأن بلوغَها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

٣- أن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال السلوكي، يُثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب)(٥).

---

(١) الأحزاب، آية ٢١ .

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٢٣ – ٢١) .

(٣) تفسير ابن كثير، (٨٨-٣).

(٤) سورة الأنعام، آية ٩٠ .

(٥) أسس الحضارة الإسلامية، للميدانى، ص ٨٠ .

فالقُدوة الحسنة هي المحرِّك والدافع للإنسان للارتقاء بالذات، فمَن جعَل له قدوة عظيمة في صفاته، فلا بدَّ أن يتأسى به في كلِّ صفاته، فالقدوة المؤثرة مثال حي للارتقاء في درجات الكمال، فهو دائمًا يطلب الكمال ويطلب المعالي، فهو بذلك مثارٌ للإعجاب والتقليد من الناس؛ لأن التأثُّر بالأفعال والسلوك أبلغُ وأكثر من التأثر بالكلام والأقوال، وهذا ما أكَّده سيِّد قطب بقوله: "كانت سيرة النبي ﷺ وحياته الواقعيَّة – بكلِّ ما فيها؛ من تجارب الإنسان، ومحاولات الإنسان، وضَعف الإنسان، وقوة الإنسان – مختلطة بحقيقة الدعوة السماوية، مُرتقية بها خُطوة خطوة؛ كما يبدو في سيرة أهله وأقرب الناس إليه، فكانت هي النموذج العملي للمحاولة الناجحة، يراها ويتأثر بها مَن يريد القدوة الميسرة، العملية الواقعيَّة، التي لا تعيش في هالات ولا في خيالات".

فالقدوة لها دورٌ كبير في إعلاء الهِمم وإصلاح المسلمين، فمَن كان عالي الهِمَّة اقتَدى به غيره، فأصلَح نفسه وأصلَح غيره، لأن لها أثر عظيم في إعطاء التجارب والتأثير في الجانب الاجتماعى والنفسى والأخلاقى والدينى وكل السلوكيات، حيث أن فيها دعوة صامتة، بطريق غير مباشرة، فكيف لا تكون لها كبير الأهمية وهى بهذا الشكل؟

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١]، ففي هذه الآية يريد الله عز وجل من المسلمين التطلُّع للأفضل وإلى أعلى المقامات، وانظر لَم يقل سبحانه: واجعَلنا في المتقين، ولكنَّها تربية للمؤمنين على الهِمَّة العالية، وأن يكونوا مثل إبراهيم عليه السلام يطلب إمامةَ المتقين؛ يقول شيخ الإسلام: "أي: فاجْعَلنا أئمَّة لِمَن يَقتدي بنا ويأْتَمُّ، ولا تَجعلنا فتنة لمن يضلُّ بنا ويشقى[٢]".

(١) سورة الفرقان، آية (٧٤).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٩١-٣) .

ويقول السعدي في تفسير هذه الآية: "أي: أَوْصِلنا يا ربَّنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصِّديقين والكُمَّل من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتَّقين في أقوالهم وأفعالهم، يُقتدى بأفعالهم، ويُطمَأَنُّ لأقوالهم، ويسير أهل الخير خلفهم، فيهدون ويهتدون؛ ولهذا لما كانت هِممهم ومطالبهم عالية، كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات، فقال: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[1] فلله، ما أعلى هذه الصفات! وأرفع هذه الهِمم! وأجَلَّ هذه المطالب! وأزكى تلك النفوس! وأطهرَ تلك القلوب! وأصفى هؤلاء الصفوة! وأتقى هؤلاء السادة!

ومِنَّة الله على عباده أن بيَّن لهم أوصافهم، ونعَت لهم هيئاتهم، وبيَّن لهم هِمَمهم، وأوضحَ لهم أجورهم؛ ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويَبذلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي مَنَّ عليهم وأكرَمهم – الذي فضلُه في كلِّ زمان ومكان، وفي كلِّ وقتٍ وآن – أن يَهديَهم كما هداهم، ويتولاَّهم بتربيته الخاصة كما تولاَّهم"[2].

ولما كان للقدوة هذا القدر الكبير من الأهمية، نجد أن الله تبارك وتعالى قال لنبينا محمد ﷺ (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)[3] يعنى استقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربّك، والأمر هنا للتأكيد، لأنّ النبيﷺ كان على الاستقامة الكاملة، والمعنى داوم عليها أنت ومن آمن معك من أمتك، فعلى الكل أن يستقيم على أمر الله، ولهذا فإنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهى، ولا تروغ منه روغان الثعالب[4]، ففى هذا توجيه إلى مصلحة من يستقيم على أمر الله ومن يراه فيتأثر به ويقتدى.

---

(١) سورة الفرقان، آية ٧٥.

(٢) تفسير السعدى، ص (٦٨٨ – ٦٨٩).

(٣) سورة هود، آية ١١٢ .

(٤) مدارج السلكين، ٢/ ١٠٤، وتفسير الطبرى، ٢٤ / ١١٥ .

المطلب الثانى

نبينا محمد ﷺ، هو المثل الأعلى القدوة

يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أي: هلَّا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله!"(٢).

ولهذا كان من الضرورى لنا معرفة النبي ﷺ بالشكل الذى يدفعنا لاتباعه، والاقتداء به، وأول عناصر الاقتداء الفعلى به محبته، فإنّ المحبة له تُذلل الصعاب، وتُيسّر العسير، لأنّ المحبَ لمن يحبُ مُطيعُ، والمحبة كما يقول العلماء: ميل االإنسان إلى ما يوافقه ويستحسنه لأسباب مُعينة (٣).

ورسولنا المصطفى ﷺ يصلح لأن يكون قدوة كاملة في كل شيء، فحبذا لو عشنا مع نماذج من صفاته وأخلاقه، في خصال أكثر من أن تحصى، فنريد أن نعيش معه، ونأنس بسيرته في بعض مناقبه على سبيل المثال وليس الحصر:

أولا: نبينا ﷺ القدوة في العبادة:

امتثَل النبي ﷺ لأمر ربه سبحانه، فاجتهد في عبادة الله تعالى. فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى

(١) سورة الأحزاب آية ٢١.
(٢) تفسير ابن كثير ،ج ٩ ، ص ٣٩ .
(٣) التعريف للقاضى عياض رحمه الله بتصرف بسيط ليزداد وضوحا.

تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا)، فلما كثر لحمه، صلَّى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع[١].

روى مسلم عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس، توبوا إلى الله؛ فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة).

من خلال ما سبق يتضح لنا كيف كانت علاقة النبي ﷺ بربه، وكيف كان يتلذذ بهذه العبادة، التى يرى فيها راحته ومتعته، يطيل الركوع والسجود، بهذا الشكل الذى ما كان معروفًا في دنيا الناس قبله، بِأبى هو وأمّى (صلوات الله وسلامه عليه) تُرى مع هذا التطويل ماذا كان يقول لربه ؟ وكيف كانت مناجاته لحبيبه وخالقه؟ إنّه يأخذ من تلك العبادة قوةً ومدداً لا ينقطع .

لعله كان يشعر بالأمان في لحظات الخوف، عندما يتعبد لربه، أو لعله وجد فيها الاستغناء عن جميع الخلق، والاكتفاء بربه سبحانه وتعالى الذى أعطاه وأرضاه، ورفع ذكره في العالمين، ورزقه أصحابًا أحبوه أكثر من حبهم لأنفسهم، بالفعل كلها نعم تستحق الشكر، وليس مغفرة الذنب، أو حتى الطمع في أي شيء من متاع الدنيا، إنّه الاجتهاد في كل ما يرضى الله ويقرب إليه، فالدافع إلى فعله للشيئ يكفى فيه أنّ الله قد أمر به مثل الاستغفار يفعله حبًا وشوقًا إلى خالقه وكفى .

ثانيًا: نبينا ﷺ القدوة في الصبر على البلاء:

قال الله تعالى مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلا القوم الفاسقون﴾[٢].

---

(١) البخارى حديث ٤٨٣٧ – مسلم حديث ٢٨٢٠ .

(٢) سورة الأحقاف، آية ٣٥.

لقد ابتُلِي نبينا محمد ﷺ، وتحمَّل من الأذى – من أجل نشر الإسلام – ما لا يستطيع إنسان أن يتحمله.

روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حِجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾(١).

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القَيْن (الحداد)، وكان ظِئرًا لإبراهيم عليه السلام (زوج مرضعته)، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمَ، فقبَّله، وشَمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلَتْ عينَا رسول الله ﷺ تذرفان (يجري دمعهما)، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: (يا بن عوف، إنها رحمة)، ثم أتبعها بأخرى (أتبع الدمعة بأخرى)، فقال ﷺ: (إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يَرضى ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)(٢).

وطلَّق عتبة بن أبي لهب رقية بنت رسول الله ﷺ، وكذلك طلق أخوه عتيبة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وذلك قبل الدخول بهما، بغضًا في رسول الله حين أنزل الله سورة المسد: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾(٣).

---

(١) سورة غافر، آية ٢٨ .

(٢) صحيح البخارى، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ من الهجرة.

(٣) سورة المسد، من ية ١: ٥.

هذه صور تم اختيارها في مواقف ترينا كيف أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد تعرض لألوان من الأذى، فصبر وتجاسر واستعلى على جراحه، محتسبًا عند ربه كل مصيبة، ولم يكن يقابل البلاء بالصبر فحسب، وإنما كان يقابله بالرضى، ألم تقرأ قوله في الحديث السابق: ولا نقول إلا ما يُرضى ربّنا .

فهو عليه الصلاة والسلام، وجميع الأنبياء والمرسلين صبروا وتحملو ليعطونا القدوة بسهولة ويسر، ومولانا سبحانه قال له (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرّسُلِ)[1] تثبتًا له، وتأكيدًا بأنّه على طريقهم، وإن كان هو أعلاهم منزلة .

ثالثًا: نبينا ﷺ القدوة في العفو عن الناس:

روى البخاري عن جابر بن عبدالله قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاه، فنزل تحت شجرة واستظل بها، وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ، فجئنا، فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: (إنّ هذا أتاني وأنا نائم، فاخترط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، مخترط صلتًا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فشامه ثم قعد، فهو هذا)، قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ [2].

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن يهوديةً أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: (لا)، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[3].

---

(١) سورة الأحقاف، آية ٣٢ .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب المغازى، باب غزوة ذات الرقاع، ٤/ ١٥١٥ .

(٣) سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٤١٢.

لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، اجتمع له أهلها عند الكعبة، ثم قال: ((يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟)) قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))(١).

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلًا قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺفقال: ((ما عندك يا ثمامة؟))، فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت، فتُرِك حتى كان الغد، ثم قال له: ((ما عندك يا ثمامة؟)) قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ((ما عندك يا ثمامة؟))، فقال: عندي ما قلت لك، فقال: ((أطلقوا ثمامة))، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوتَ؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ (٢).

تلك دلائل واضحه على حبه ﷺ للعفو عن كل مسيئ، والتجاوز عن كل جاهل بقدره، وحين تأتى المواقف فتكشف لهم عن حقيقته يتحولوا من أعداء إلى محبين له.

---

(١) البخارى، حديث ٢٧٣٤ .

(٢) البخارى، حديث رقم ٤٦٢، ومسلم، حديث رقم ١٧٦٤.

رابعًا: نبينا ﷺ القدوة في تكريم المرأة واحترام رأيها:

جاء النبي ﷺ بهذا الدين في مجتمع لا يعرف للمرأة حقا، بل تجد إهانتها وتحقيرها أينما توجهت، لأنها مجرد متاع للرجل، لا رأى لها ولا قيمة، حيث تبدأ إهانتها من لحظة الولادة قال تعالى (وإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ القومِ مِن سُوء ما بُشّرَ بِه أَيُمسِكُه عَلى هُونٍ أَم يَدُسُهُ في التّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحكُمُونَ)[1].

ثم تتوالى عليها المذلة بعد ذلك دون رحمة، فإنْ عاشت فهى مجرد كائن غير مرغوب فيه، وإلا فالوأد في التراب، بغير جريمة ارتكبتها، أو معصية اقترفتها، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن، ورأى الناس كيف يتعامل معها النبيﷺ تحت أي صورة، حيث كان منهن أمّه وعمّته وزوجه وابنته وحفيدته، وبنات الناس من حوله مع اختلاف أعمارهن، اهتم لأجلهنّ، وأعطاهنّ من الحقوق ما لم يكن متعارفًا عليه قبل ذلك، في أعمّ الأمور وأخصّها، فأعطى القدوة الجليلة في هذا المجال.

وتلك نماذج بين يديك، مضيئة رائعة ترى من خلالها وتعرف أنّ المرأة قد عَزّت وتكرّمت وسُمِع كلامها، وتم تقدير إحساسها، فلم تعد تُغلب على شيء أو لايُجاب طلبها كما كان في غابر الزمان، ومن هذه المواقف يمكنك أن تتبين حالها.

روى البخاري عن خنساء بنت خذام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب (أي: تزوجت قبل ذلك)، فكرهت ذلك، فأتت النبي ﷺفرد نكاحها[2].

روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن))، قالوا: كيف إذنها؟ قال: (أن تسكتَ)[3].

---

(١) سورة النحل، الآيتين ٥٨، ٥٩ .

(٢) البخارى حديث ٥١٣٨.

(٣) البخارى، حديث ٥١٣٦. مسلم، حديث ١٤١٩ .

روى مسلم عن جابر بن عبدالله: أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: ((اتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرِّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف))[١].

تفسير الطبرى، رقم ٢٩٢/ ٢ / ٣ . ١)(

المطلب الثالث

الاقتداء بسائر الأنبياء والمرسلين

لم تعرف البشرية أصلح ولا أفضل من الرسّل والأنبياء (عليهم السلام) فهم صفوة الله من خلقه بلا منازع، لأنّهم القمم في الخلق سلوكًا وإيمانًا وعمارةً في الأرض، ونشرًا للفضائل في أقوامهم، تفانوا في دعوتهم للهداية، وتحملوا أذاهم دون ضجر أو سخط.

كان منهم سيدنا نوح (عليه السلام) فهو أول رسول يرسله الله إلى الناس في الأرض، وقد جاء عن ابن جبير وغيره أن قوم نوح كان اسمهم بنو راسب(١).

دعاهم سيدنا نوح (عليه السلام) بمختلف الأساليب فلم يؤمنوا، وآذوه واتهموه في عقله، وطالت دعوته فيهم حتى بلغت ألف سنة إلا خمسين عامًا، وكان ممن كفر به امرأته وابنه، ولم يؤمن به إلا القليل من قومه، فأمره الله ببناء السفينة، وأن يحمل فيها المؤمنين من قومه، ومعهم من كل زوجين اثنين، فكان طويل الصبر عليهم حتى إذا استيأس منهم دعا عليهم (وقال نوحٌ ربِ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا. إنّك إن تذرهم يُضلوا عبادَك ولا يَلدوا إلا فَاجرًا كَفارًا)(٢) أي لا تتركهم لأنّهم إن تُركوا أضلوا الناس عن سبيل الحق، والهدى، ولا يلدون إلا من يكفر بدينك، ويجحد نعمتك. فعمّهم الطوفان وأهكهم الله بكفرهم(٣).

ومن هؤلاء القدوة إبراهيم – عليه السلام – لأنّ الله – عزَّ وجل – امتدَحه وأثنى عليه في هذه الصفة، فكان قدوة يُقتدى به؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

---

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص ٨٣، ٨٤، بتصرف.

(٢) سورة نوح ،آية ٢٦.

(٣) تفسير الطبرى، الإمام أبوجعفر الطبرى ، جامع البيان، ص ٢٨٨ ، ٣٠٩، ٤٥٢ جزء ١٤، ٢٣ .

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[١] قال الجزائري: "إمامًا: قدوة صالحة يُقتدى به في الخير والكمال"[٢].

وكيف لا وهو خليل الرحمن، والذى ابتُلى في ميادين كثيرة فتحمل ما تنوء بحمله الجبال ألم يؤذ حتى بلغ به ذلك أن أُلقى في النارفنجاه الله تبارك وتعالى من كيد الكافرين ؟، كما قال سبحانه عنهم: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وانْصُرُوا آلِهَتِكُمْ إِنْ كُنتُم فَاعِلِين. قُلنَا يا نَارُ كُونِي بَرْدًا وسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمِ)[٣].

وقال ابن كثير: "فقام بجميع الأوامر وترَك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة على التمام والكمال، ما يستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله"[٤].

قصة النّبي موسى (عليه السلام):

وقصة النّبي موسى عليه السلام تقدم قدوة في الشجاعة والإيمان بالله. يُظهر سرد القرآن لقصة موسى كيف تحدى الظلم والفساد، وسعى لتحرير شعبه من الظلم والاستبداد. يتجلى الإيمان والرجاحة في موقفه عند مواجهته لفرعون، مُظهرًا للمؤمنين كيف يمكن للإيمان بالله أن يكون دافعًا للقيام بالأمر بالمعروف ومقاومة الظلم.

وقصة النبي يونس عليه السلام تُبرز قدوة في التوبة والرجوع إلى الله. بعد أن رفضه قومه في بداية الرسالة وتجاهلوا، دعوته، قرر يونس أن يترك قومه

---

(١) سورة البقرة، آية ١٢٤.

(٢) أيسر التفاسير ، (١١٠ – ١)

(٣) سوة الأنبياء، الآيتين ٦٨، ٦٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٢٧٥٠/٤، تفسير الثعلبى: ٢٦٩/١، البحر المديد، لابن عجيب، ١٦٠/١.

دون إذن من الله، وكانت نتيجة ذلك أنه أُلقي في فم الحوت. في داخل بطن الحوت، استغفر يونس وأدرك خطأه. بعد أن أخرجه الله من الحوت، عاد يونس لقومه ليدعوهم إلى الله. تظهر هذه القصة قدوة في قوة التوبة والعودة إلى الله، مُظهرة أن الله غفور رحيم. يقول الله تعالى (فلولا أنّه كان من المسبحين للبثَ في بطنه إلى يومِ يبعثون)[1].

وعند الحديث عن القدوة من الأنبياء والمرسلين، لا نستطيع أن نمُر دون أن نلقى نظرةً خاطفةً على قصة سيدنا يوسُف (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام) خاصةً في زمن يخوض الناس فيه في الفتن، ولعل هذه الكلمات أن تصل إلى قلوب شبابنا فيرى فيها هذا النموذج الجميل في عفته، التارك لغفلته، المتيقظ لدعوات الشيطان، فلا يُجيب ولا ينحنى لشهواته أبدًا، وإنما يعلم جيد العلم أنّ الإسلام لم يأت ليبتُر الشهوات ويكبتها، وإنّما جاء ليوجه الشهوات ويهذبها .

تأتى هذه الكلمات في زمن الانفتاح على ثقافات العالم، والتى عبَرَت فيها وسائل التواصل الاجتماعى إلى داخل بيوتنا، وانخرطنا فيها رغمًا عنّا، والحق أنّها ليست كلها ضارة، بل يمكن بالوعى والرشادة أن نحقق منها منافع لا حصر لها .

غير أنّه بالملاحظة وجدنا ضررها على الكثيرين ممن لم يحسنوا استغلالها، فكانت سببًا في هتك الأستار، وفضح الأسرار، وعُرِض من خلالها ما أيقظ الغرائز بالحرام، بما يتنافى مع العفّة، فكان من الضرورى بسط حديثٍ عن سيدنا يوسُف (عليه السلام) في عفته وروعته بالقدر الذى يسعُ به المقام.

وممّا يجدر ذكره أنّ سيدنا يوسُف (عليه السلام) ابتُلى بحسد إخوته له بسبب حبّ أبيه سيدنا يعقوب (عليه السلام)، فبلغ بهم ذلك أن ألقوه في بئرٍ عميقة كى

(١) سورة يونس، الآيتين ١٤٣، ١٤٤.

يذهب بعيدًا عنهم، وينصرف وجه الأب إليهم وقد فعلوا، قال تعالى (فَلَمّا ذَهَبُوا بِه وَأَجْمَعُوا أنْ يَجْعَلُوه فِي غَيَابَةِ الجُبّ وَأَوحَينَا إليهِ لتُنَبانّهُمْ بِأمرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشعُرُونَ)[١] فكان ذلك ابتلاءً شديدًا، حيث تعرض للهلاك والله تبارك وتعالى نجّاه، ثم يأتى الموقف التالى قال تعالى (وَجَاءَتْ سَيَارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدلَى دَلْوهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وأسَرّوهُ بِضَاعَةً)[٢] وحُمِل إلى حيث لا يعلم أين يُذهبُ به، فوصل إلى بيت العزيز وظهر أدبه وحسن خلقه، وجماله الشديد، مما أوقع امرأة العزيز في حبّه، فكثر تفكيرها فيه، وما استطاعت أن تصبر عنه .

وكان الأمرصعبًا، أنّها سيدته، فكيف يرد لها طلب، وكذلك إنّه كامل الملكات والقدرات الموجودة في أمثال سنه، وهو الغريب الشاب، والمرأة قد رفعت الكلفة بينها وبينه، وتجرأت وطلبت بعدما تهيأت، وأعدّت الخلوة التى ربما حلمت كثيرًا مما يمكن أن يحدث إذا هو أطاعها، فدعته (وغَلّقتِ الأبْوابَ وقَالتْ هَيتَ لَكَ ...) [٣].

لقد توجهت إليه المرأة بكل قوتها وعنفوان الإشتهاء يتملكها، إنّ الخلوة متحققة فلا خوف عندها هى ومن شغفها حبًا، وهو ملك يمينها، فما الذى يمنع من تحقيق هذه المتعة إذن؟

لكن سبحان الله الذى يثبت أولياءه بقدرته، ويعصمهم بإرادته قد أنقذه، أوليس الشيطان حاضرًا بكل أدواته وقوته، ورسولنا ﷺ يقول كما في الحديث الصحيح (ألا لايخلونّ رجل بامرأة لا تحل له، فإنّ ثالثُهما الشيطان ..)[٤] لكن أنّى للشيطان أن يكون له أدنى سلطان على من هو معتصم بالله، يقيم للعواقب ميزانًا

(١) سورة يوسف، آية ١٥.
(٢) سورة يوسف، آية ١٩.
(٣) سورة يوسف، آية ٢٣ .
(٤) الضياء في الأحاديث المختارة رقم ٢٣٠، أخرجه أحمد، حديث رقم ١٥٦٩٦.

ويقدر إحسان الرجل الذى آواه في بيته فكان الردّ عند الكريمِ يوسُف (عليه السلام): (إِنّهُ رَبّى أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنّهُ لَا يُفلِحُ الظّالِمُونَ)[1].

فيعلمُنا يوسُف (عليه السلام) أنّ الظفر بالمعصية، والمتعة بها وفعلها، ليس هو الإنجاز في هذه الحياة، وإنّما النّصر الحقيقى حينما تشتد مراقبتَنا لله حبًا فيه وشوقًا إليه، والانتصار على الشهوات المحرّمة، هو ذلك الذى يورث العزة، ممّا جعل المرأة هى الذليلة أمامه، وهو العزيز الشامخ ، فسبحان من جعل الملوك عبيدًا بمعصيته، وجعل العبيد ملوكًا بطاعته، لقد رأى أمام إصرارها أنّ أي عقوبة أهون عنده من النّار، وقبلها غضب الجبار (سبحانه)، فقال لما خُير بين السجن أو فعل الفاحشة (قَالَ رَبِّ السّجْنُ أَحَبّ إِلىّ ممّا يَدعُونَنِى إِلَيهِ وإِلَا تَصْرِفْ عَنّى كَيدَهَن أَصْبُّ إِليهِنّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ)[2]. فأعظم شيء أمام الفتن الطاحنة، والشهوات المحرمة هوالاعتصام بالله، والتشبث بحبله، وذلك بالمداومة على ذكره، وكثرة الاستغفار، وإغلاق كل باب يُشعل هذه الشهوات، واتخاذ الصحبة الصالحة، والاقتراب من هذه القدوات الطيبة.

فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّ القدوة الحسنة من أعظم ما يرفع الهِمَّة، فمَن انصف بمَن حوله، أو كان هو قدوة حسنة في نفسه، اهتمَّ بالأخلاق الفاضلة، وتحلَّى بها، فيكون ذلك له دافعًا لعُلوِّ الهِمَّة .فنجد أن أولئك الكرام من أنبياء الله تعالى قد ضربوا المثل الكامل في كل الفضائل، ولو جعلهم الناس أسوة لهم، لأغناهم ذلك، فمن حيث الصبر على البلاء تجد مثلا سيدنا أيوب عليه السلام إذ تجد الراحة النفسية وأنت تقرأ قول الله تعالى (وأَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبّه أَنِّى مَسّنىَ الضّرُ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ. فَاسْتَجْبَا لَهُ فَكَشَفنَا مَا بِه مِنْ ضُرٍ)[3] فلقد جعله الله مثلا يضرب في الصبر، وكانت عاقبة الصبر أن الله استجاب له بأروع إجابة .

---

(١) سورة يوسف، آية ٢٣.

(٢) سورة يوسف، آية ٣٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتين، ٨٣، ٨٤.

المطلب الرابع

الاقتداء بالصالحين

إنّ الاقتداء بالصالحين أمر مهم، ومن رحمة الله بنا أن هدانا لمعرفة من سبقونا من الأولين، وخاصة الصالحين منهم، للسير على نور هديهم، نتتبع آثارهم، ونتلمس الخيرات والبركات في طريقهم، وننجى أنفسنا من الضياع والزلات بمضاهاتهم.

والإنسان بطبيعته مفطور على حبّ الاقتداء، والتقليد لغيره، حيث أنّه يكون المثال الحىّ الذى يحوى بداخله فضائل سلوكية، يعطى المقتدى قناعة بأن بلوغها مقدور عليه، لأن حال القدوة يعبر عن ذلك. فهو مثال سلوكى حىّ .

من نماذج القدوات الحسنة التي ذكَرها القرآن الكريم نموذجًا للقدوة الحسنة ذوالقرنين؛ حيث حوَّل المجتمع النظري إلى حقيقة واقعة تتحرَّك في واقع الأرض، وترجَم – بسلوكه وعُلوِّ هِمَّته وتصرُّفاته – مبادئ المنهج ومعانيه، ووضَع في شخصه صورة القدوة الحيَّة للقائد الصالح المُصلِح.

وذو القرنين رجل آتاه الله – سبحانه وتعالى – التمكين والقوة والأسباب، وعُلو الهمَّة والطموح المحمود؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[١] أي: أقْدَرناه بما مهَّدنا له من الأسباب، وجعَلنا له مُكنة وقُدرة على التصرُّف فيها[٢].

والتمكين: هو تمثيل لقوة التصرُّف بحيث لا يُزعزع قوَّته[٣].

فذو القرنين أُوتي من كلِّ شيء يحتاجه أُولو القوة والحُكم، لكنه لَم يَستخدم هذا العطاء في الترف والشهوات، وإنما استخدمه في السعي والحركة في قضاء حوائج الناس، فكان بهذا السلوك ترجمة عملية بشريَّة حيَّة للمنهج الرباني.

---

(١) سورة الكهف، آية ٨٤.

(٢) انظر: تفسير الشوكانى ٣٠٨ – ٣.

(٣) انظر: التحريروالتنوير، ١٢٥ – ١٥.

فقد فُطِر الناس على افتقاد القدوة والبحث عن الأسوة؛ ليكونوا لهم نبراسًا يُضيء سبيل الحق، ومثالاً حيًّا يُبيِّن لهم كيف يطبِّقون شريعة الله؛ لذلك لَم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها على الأرض، إلاَّ إرسال الرُّسل، يُبَيِّنون للناس ما أنزَل الله من شريعته [١].

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[٢].

فلو لَم يكن ذو القرنين قدوة حسنة للناس باشتهاره في فِعل الخيرات، لَما طَلبوا منه أن يَقيَهم من الفساد، وهكذا اقترَن في مكان واحد القدوة الحسنة والحماية من الفساد؛ أي: إنَّ القدوة الحسنة والإصلاح أمران متلازمان، فالقوم بمجرَّد رؤيتهم ذي القرنين – الذي هو نموذج القدوة الحسنة التي دَفعته لعلُو الهِمَّة وطلب الكمال – طلبوا منه إصلاحَ أمرهم بمَنْعه يأجوجَ ومأجوج من الإفساد في الأرض.

ثم قال ذو القرنين: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ وبقوله: ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾: [٣] أراد تسخيرَهم للعمل، وتنشيطهم وتفعيل إرادتهم، وإذا هم فعَلوا ذلك، فهو أوَّلهم إقبالاً إلى مباشرة العمل؛ ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾، وتقديم إضافة الظرف إلى ضمير المخاطبين على إضافته إلى ضمير يأجوج؛ لإظهار كمال العناية بمصالحهم، ﴿ رَدْمًا ﴾: حاجزًا حصينًا، وبَرزخًا مَتينًا، وهو أكبر من السَّد وأوثق، يقال: ثَوبٌ مُردَّم؛ أي: فيه رقاع فوق رِقاع، وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه[٤].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، النحلاوى، ص ٢٥٥ .

(٢) سورة الكهف، آية ٩٤.

(٣) سورة الكهف، آية ٩٥.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود، ٢٤٥ – ٥.

وبمثل هذه الصفات التي اتَّصف بها ذو القرنين، وأنجَز بها من نفسه القدوة الحسنة، يكون تغيير المجتمع وإصلاحه نحو الخير أمرًا حتميًّا؛ لأن العقل إذا اقترَن بالقدوة الحسنة، نتجَت من هذا الاقتران عُلوُّ الهِمَّة والعزيمة الصادقة التي هي المحرِّك للتغيير.

لذا قاوَم ذو القرنين – لَمَّا عَلِم أنه قدوة لقومه – ذلك الفساد والظلم بعُلو هِمَّته، وقوة عزيمته، ولَم يكتف ذو القرنين بأن يُقاوم هذا الظلم بنفسه، بل طلب الإعانة؛ لأنَّ إفساد يأجوج ومأجوج كان إفسادًا جماعيًّا، فلا بدَّ أن يُقابله إصلاح جماعي، فانظر كيف أنَّ القدوة الحسنة دافعٌ للإنسان للعمل والجد، وطلب معالي الأمور، فبالإيمان الحقيقي الذي يحمله ذو القرنين، ترجَم لنا معنى المسارعة للخيرات وحبَّ العمل، وعُلوَّ الهِمَّة في الدنيا والآخرة، حتى إنه لما طلب منه القوم أن يتدخل من أجل إنقاذهم من شر يأجوج ومأجوج لم يقم بعمل ما يحميهم وحده، وإنما طلب منهم أن يعينوه ليستفيدوا بالتجربة ويتعلموا.

ممن تحدث عنهم القرآن الكريم أيضا كقدوة صالحة سيدنا لقمان (عليه السلام) إذ أنّ الله (تبارك وتعالى) قد ذكر لنا سورة في القرآن باسمه، وعدد لنا وصاياه الجليلة الهادئة الهادفة لابنه، وكان الرّجل مشتهرًا بالحكمة في كل تعاملاته، متفوقًا في كل مجالات الحياة، ولكنّ القرآن الكريم ركّز على الجوانب العقائدية أكثر من غيرها، ذلك لأنّ حكمه في الجانب الاجتماعى كانت مشهورة عند العرب قبل الإسلام، وكانوا يتناقلونها، ويتحدثون بها في مجالسهم، فأراد الله تعالى أن يعلمهم أنّ لقمان الموثوق عندهم هذا كان موحدًا لله تعالى، وكان يدعوا إلى نبذ الشرك والبعد عنه، ويطلب حسن الصلة بالله عن طريق إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والصبرعلى الابتلاء الناتج عن ذلك (..يَا بُنَىَ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[١].

(١) سورة لقمان، آية ١٣.

وكذلك التواضع وعدم التكبر وخفض الصوت والبعد عن رفعه، لأنّ الصوت المرتفع لايكسب صاحبه أي فائدة، بل قد يؤذى النّاس، ومن وقار الإنسان ووعيه أن يكون صوته هادئًا معتدلًا، وألا يكون مرتفعًا، ليشبه صوت الحمار، الذى يعد مثالًا على القباحة والنكارة(١).

وكان سيدنا لقمان (عليه السلام) بسيطًا في مهنته. قيل كانت مهنته الخياطة، وقيل إنّه كان حطابًا يحتزم الحطب في كل يوم ويذهب به إلى مولاه، وقيل إنّ مهنته هى رعى الأغنام، وقال البعض إنّه كان حبشيًا يعمل في النّجارة(٢).

وقد اختلف أهل العلم في لقمان هل كان نبيًا أم حكيمًا؟

فقد ذهب الجمهور من أهل التأويل إلى أنّ لقمان كان وليًا صالحًا حكيمًا، ولم يكن نبيًا. وذهب عكرمة والشعبى إلى أنّ لقمان الحكيم كان نبيًا مبعوثًا، وذهب ابن عباس إلى أنّ لقمان كان رجلًا صالحًا، آتاه الله الحكمة، وأراه الصواب في أمره كله، وكان قاضيًا يَفصل في بنى إسرائيل(٣).

وقد ذكرلنا القرآن قصة عظيمة لرجل من الصالحين، إنّه طالوت الذى بعثه الله ملكًا على بنى إسرائيل، فرأوا أنّهم أحقّ بالملك منه، لكونه من سبط يامين، وهم من سبط يهوذا، وقيل إنّه كان يعمل بالسقاية، وقيل كان يعمل بالدباغة، و كانوا يجعلون الملك في سبط، والنبوة في سبط آخر، وطالوت لامن سبط النبوة ولا من سبط الملك، ولكن الله تعالى فضله عليهم بعلمه وقوة جسده(٤).

وقد حارب جيش جالوت بمن ثبت معه وصبر وكانوا من بنى إسرائيل، فقَتل داود (عليه السلام) جالوتَ، وانتصر جيش طالوت ذلك الرجل الصالح، الواثق في ربه.

---

(١) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلى، ص ٢٠٢٦ بتصرف.

(٢) مجموعة من المؤلفين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٤١٧ بتصرف.

(٣) مجموعة من المؤلفين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٤١٨ بتصرف.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكى ابن أبى طالب، ص ٨١٨ بتصرف.

ولأن كانت آيات القرآن وعاء لذكر الصالحين من قبل أمة محمد ﷺ فأيضًا قد ذكر في القرآن مواقف يقتدى بها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قول الله تعالى (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثنَينِ إِذْ هُمَا في الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنّ اللهَ مَعَنَا ...)[١].

إنّ الحديث الماتع هنا يذكرنا بحدث الهجرة النبوية المباركة، حيث اشتد الأذى على المسلمين في مكة، فأذن الله لسيدنا محمد بالهجرة إلى يثرب، حيث النواة الأولى لبناء الدولة الإسلامية وتبليغ دعوة الله للعالمين، وكانت قريش قد علمت بأنّ رسول يعد نفسه لترك مكة ومن فيها، فقررت منعه بأى سبيل، فاجتمعوا في دار الندوة، وقرروا الخلاص منه بالقتل بطريقة يعجز معها بنو هاشم عن الأخذ بثأره، فجمعوا من كل قبيلة فارسًا قويًا حتى يضربوه ضربة رجل واحد فلا يُعلم من القاتل، فيقبلوا فيه الدية. وفى هذه الليلة أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالهجرة وكان معه الصديق أبو بكر رضى الله عنه، وكانت خطتهم أن يأتوا غار ثوربمكة يمكثوا فيه حتى يهدأ الطلب،

يقول أبو بكر رضى الله عنه (بيّنا أنا مع رسول الله ﷺ في الغار، وأقدام المشركين فوق رؤسنا، فقلت يا رسول الله، لو أنّ أحدهم رفع قدمه أبصرنا ! فقال يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثُهما؟[٢] (فَأنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وَأَيّدَهُ بِجنُودٍ لَم تَرَوْهَا ...)[٣] فكان الصديق رضى الله عنه في حالة خوف شديد على رسول الله ﷺ لأنّه يرى أنّ أي خطر يتعرض له رسول الله ﷺ فهو خطر على الأمّة كلها، ولهذا كان حزنه، (رضى الله عنه) ولهذا فإنّ الصديق ذكر في القرآن لعظيم منزلته، فهو الصاحب في الغار، والمبشر بالجنة، وأقرب الصحابة إلى قلب رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٢) البخارى، حديث رقم ٣٦٥٣، مسلم، حديث رقم ٢٣٨١.

(٣) سورة التوبة، آية ٤٠.

المطلب الخامس

الاقتداء بالآباء

ومن القدوة الصالحة المحمودة اقتِداء الذريَّة بالآباء الصالحين فيما هم عليه من الصلاح والاستقامة، فإنَّ ذلك من أسباب رفعة الدرجة وجمْع الشمل في الجنة؛ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾(١).

فأخبر – سبحانه – عن فضْله وكرمه ولطْفه بخلْقه وإحسانه إليهم أنَّ المؤمنين إذا اتَّبعَتْهم ذريتهم بالإيمان يلحقهم الله بآبائهم في المنزلة وإنْ لم يبلغوا عملهم؛ لتقرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في مَنازِلهم؛ فيجمع – سبحانه – بينهم على أحسن الوجوه بأنْ يَرفَع مَن هو أقلُّ عملاً وأدنى درجةً إلى قريبه الذي هو أعظم عملاً وأعلى منزلة، كما قال – تعالى –: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(٢).

فالاقتِداء الحسن والاتِّباع الصالح المحمود في الدنيا والآخِرة إنما يكون من اللاحق بالسابق في الإيمان بالله والعمل الصالح الذي يحبُّه ويَرضاه، والخلق الجميل الذي مدَحَه الله كما قال – سبحانه – عن يوسف – عليه السلام – أنَّه قال: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الطور، آية ٢١.

(٢) سورة الرعد، الآيتين ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة يوسف، الآيتين ٣٧، ٣٨ .

فهكذا يكون الأبناء الصالحون خَلَفًا لِمَن سلَف، ويكون الآباء المؤمنون قدوة للأبناء في الخير، وتكون الذريَّة تبعًا لهم في ذلك في سلسلةٍ متَّصلة وقفل متلاحق في السير إلى الجنَّة على هُدًى ونور، ولكنَّ المصيبة وشرَّ البليَّة إذا فسَد الآباء – والعياذ بالله – فصارُوا قدوةً سيِّئة لأولادهم في الضلال وسيِّئ الأعمال كما قال – تعالى –: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١).

فإذا كان الأب لا يُصلِّي الكليَّة، أو لا يشهد الجماعة إلاَّ الجمعة، أو حتى الجمعة، أو يتعاطى المسكرات، أو لا يتورَّع عن كسْب المال الحرام، أو لا يَغار على محارمه، فكيف تكون الذرية التي تُشاهِد هذه الجرائم، وتتربَّى على إلْف تلك العظائم، التي يرتَكِبها الآباء مجاهرةً لرب الأرض والسماء، إنهم سيَكونون في الغالب كما قال الشاعر::

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا * عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوه**

كيف نتَصوَّر حالَ شبابٍ أُلِفُوا من آبائهم هَجْرَ المساجد، يُولَد أحدُهم ويبلغ وهو لم يَرَ والده يخرج إلى المساجد للصلوات الخمس، فكانوا كما قال – سبحانه –: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ (٢).

وتأتى ضرورة وجود القدوة الصالحة من جانب ميل الإنسان إلى التقليد، باعتبار أن التقليد غريزة كامنة في النفس البشرية، ولذا فإن الطفل أول أحد يقلده أباه، لأنّه الأقرب إليه من حيث الرؤية، وهو يحب المحاكاة إلى أبعد مدى، لذا فينبغى أن يحرص الآباء على أن يرى الأولاد منهم فعل الخيرات، والبعد عن المنكرات، قولاً وفعلاً .

---

(١) سورة البقرة، آية ١٧٠ .

(٢) سورة الصافات، آية ٦٩.

ولقد حظيت تربية الأولاد في الإسلام باهتمام بالغ، مما جعل الإنسان حىّ بالعمل ولو فارق الحياة من خلال الولد الصالح الذى يواصل الصلاح بعد أبيه، ومن ضمن ما يقوم به من عمل الصالحات الدعاء لذلك الأب، فقال ﷺ (إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ ينتفع أو ولدٍ صالحٍ يدعو له)[١].

فإذا شب الابنُ وجب على الأب أن يتعهده في اختيار الأمور التى يحبها الله تعالى في طعامه وشرابه وملبسه وكلامه، وينظر كل فترة في أصدقائه ويوصيه بصحبة الصالحين لأنّ رسول الله ﷺ قال (المرءُ على دينِ خليلهِ، فلينظرْ أحدُكمْ مَن يُخالل)[٢].

ثم إنّ على الآباء كذلك لفت أنظار أبنائهم إلى معرفة الصحابة وحبهم، وليس هذا في الذكور فقط بل وبالنسبة للفتيات ينبغى تربيتهن على معرفة ومحبة أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات اللواتى كنّ مثالًا للأمهات الصالحات، والمدبرات الحكيمات[٣] وبهذا يطبع الصلاح والتقوى في نفوس أبنائنا .

فمن الضرورى للآباء معرفة وجوب تنشأة الأبناء على الفضائل، والخصال الطيبة وندرك أن هذا ضمن ما سيسألون عنه أمام الله تعالى قال رسول الله ﷺ (كلكمْ راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتهِ ...والرجلُ راعٍ في أهلِ بيتهِ ومسئولٌ عن رَعيتهِ)[٤].

---

(١) صحيح مسلم، رقم ح ١٦٣١.

(٢) أخرجه أبو داود، ح رقم ٤٨٣٣، والترمذى، رقم ٢٣٧٨، وأحمد، رقم ٨٣٩٨ .

(٣) اصول التربية الإسلامية، النحلاوى، ص ٢٣٢، بتصرف.

(٤) صحيح البخارى، حديث رقم ٢٥٥٤.

المطلب السادس

القدوة السيئة بالأشرار، وأثرها

القدوة السيئة هي: الاقتداء بأهل الباطل، ومتابعتهم، والتأسي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات(١).

وقد كان تقليد الآباء سببًا رئيسًا في رد دعوات الأنبياء، وهو تقليد مذموم يقود صاحبه إلى الأخذ بآراء وأقوال الرجال، والإعراض عن الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأهل الكفر جعلوا أصل احتجاجهم على عدم تصديق ما جاءت به الرسل، أنه لم يكن عليه أسلافهم، ولا عرفوه منهم؛ لذا ذمَّه الله عز وجل في كتابه الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(٢). فالكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه "لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي، ثم بيَّن أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف، وإنما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين(٣).

ففي الآية الكريمة ذَمٌّ من الله تعالى للتقليد وأهله، وحجج الكفار في كل العصور لا تستند إلى دليل، بل إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكر، وهي صورة سيئة تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق ولا يسأل: إلى أين نمضي.

فيجعلون آباءهم "أهل الرأي فيما ارتؤوا والتسديد فيما فعلوا، فلا يرون إلا حقًّا، ولا يفعلون إلا صوابًا وحكمةً، فلا جرم أن يكون مريد الصد عنها محاولًا

---

(١) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: عدد من المختصين بإشراف الشيخ / صالح بن عبدالله بن حميد، ج ١١، ص ٥٣٠٠.

(٢) سورة الزخرف، آية ٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٦٢٨.

الباطل وكاذبًا في قوله؛ لأن الحق مطابق الواقع، فإبطال ما هو حق في زعمهم قول غير مطابق للواقع، فهوالكذب، وفعل كان في قولهم: عما كان يعبد آباؤكم إشارة إلى أنهم عنوا أن تلك عبادة قديمة ثابت"(١).

وقد وضَّح الرسول ﷺ مدى خطورة القدوة السيئة على الخلق، وما تحمله من أوزار على من سنها، وعلى من يتأسون ويتأثرون بها، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيء، وَمَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شيء"(٢).

فقد حث الحديث على الترغيب "في فعل السنن التي أُميتت وتُركت وهُجرت، فإنه يكتب لمن أحياها أجرها وأجرُ من عمِل بها، وفيه التحذير من السنن السيئة، وأن من سن سنة سيئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، حتى لو كانت في أول الأمر سهلة ثم توسَّعت"(٣).

فافتقاد القدوة المثالية والأسوة الحسنة في البيت والمجتمع لها من التأثير السيئ في التنشئة الاجتماعية للأولاد، فقد يفتن مَن يتبع القدوة الفاسدة ويقلدها، أو تؤدي به إلى التأخر، أو التفريط عما فيه خيري الدنيا والآخرة، وضياع العمر والوقت .

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج ٢٢، ص ٢٢٦، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزكاة ك باب ك الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ج ٢، ص ٧٠٤، رقم ح ١٠١٧، وفى سنن النسائى، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، ج ٥، ص ٧٥، رقم ح ٢٥٥٤.

(٣) شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ج ٢، ص ٣٤٥.

والاقتداء بأهل الباطل "يؤدي إلى محبتهم والدفاع عن سيئاتهم وشرورهم، والابتعاد عن الصالحين ويدفع هذا بصاحبه إلى ارتكاب كبيرة"[١] فإهمال تربية الأولاد أمرٌ ضار بالولد ووالديه والمجتمع بأسره، ومن مظاهر الفساد التربوي جلوس كثير من الآباء والأمهات مع أولادهم وراء شاشات التلفاز، لمشاهدة ما يشتمل على الفساد في الخُلق والعقيدة والأفكار، وكون الوالد قدوة سيئة لأولاده في أمور كثيرة كالفحش في القول وسوء الخلق، هو مظهر من مظاهر سوء التربية.

ومن أسباب التنشئة الفاسدة كثرة المشاكل الأسرية، "فقد يكون الوالد قدوة سلوكية سيئة للأولاد، ولهذا ما له من تأثير سيئ في التنشئة الاجتماعية للأولاد؛ حيث يتعلمون ويقلدون السلوك السيئ؛ مثل التسلط والقسوة والرعاية الزائدة والتدليل، والإهمال والرفض، والتفرقة في المعاملة بين الذكور والإناث، وبين الكبار والصغار، وبين الأشقاء وغير الأشقاء، والتذبذب في المعاملة"[٢] فالقدوة السيئة سبب رئيس في قيادة الناس إلى المفاسد، "فالإنسان مخلوق اجتماعي، يتفاعل مع ببيئته، ويتأثر بها ويؤثر فيها، ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه يمكنه العيش في مجتمع فاسد، أو بين أناس فاسدين من دون أن يتأثَّر بهم بنحو من التأثر" [٣].

ومما لا شك فيه أن الجليس له تأثير مباشر على جليسه، فإما أن يكون صالحًا فيؤثر على صاحبه إيجابًا، فيكون صالحًا مثله، وإما أن يكون فاسدًا،

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: عدد من المختصين بإشراف / صالح بن عبد الله بن حميد، ج ١١، ص ٥٣٠٠.

(٢) التوجيه وافرشاد النفسى: الدكتور حامد عبد السلام زهران، ص ٤٥٢، عالم الكتاب – بيروت، ط ٣، (د– ت).

(٣) النهى عن القدوة السيئة وبيان أضرارها: على بن نايف الشحود، ص ٣١.

فيؤثر سلبًا على صاحبه فيفسده، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" (١).

ففي تمثيل الرسول ﷺ "الجليس السوء والجليس الصالح بحامل المسك أو نافخ الكير: تجنب خلطاء السوء ومجالسة الأشرار وأهل البدع والمغتابين للناس؛ لأن جميع هؤلاء ينفذ أثرهم إلى جليسهم، والحض على مجالسة أهل الخير، وتلقي العلم والأدب، وحسن الهدي والأخلاق الحميدة" (٢).

فإهمال الوالدين تربية الأولاد، وعدم مراقبة تصرُّفاتهم، واختيار رفاقهم، وقيام الأسرة على أسس تربوية خاطئة، وعدم العناية بالتربية الإسلامية، وكثرة الخلافات بين الزوجين، وسوء معاملة الأولاد، هي من الأسباب التي تساعد على انتشار القدوة السيئة.

والإسلام "إذ يأمرنا بمقاومة الشر، إنما يأمرنا بإنهاء القدوة السيئة التي تنشئ البيئة السيئة، فكل رجلٍ خَيِّر هو قدوة حسنة، وكل رجلٍ شريِّر هو قدوة سيئة"(٣).

ومما ينبغي على المربي أن يبتعد عن مواطن الشبهة والريبة، لئلا يرتاب الناس في أمره، وهي مواطن يتسلل منها الشيطان إلى قلوب الناس، فيُزين لهم

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الذبائح والصيد: باب المسك، ج ٧، ص ١٢٥، رقم ح ٥٥٣٤، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والاداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ج ٤، ص ٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى، ج ٨، ص ١٠٨، تحقيق د. يحيى اسماعيل، دار الوفاء – مصر، ط ١، ١٤١٩ من الهجرة – ١٩٩٨م.

(٣) دراسات وتوجيهات إسلامية: أحمد سحنون، ص ١٨٩، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ٢، ١٩٩٢، ١٨٩.

الشك وسوءَ الظن، ومن وضع نفسه في مواطن الشبهة، فلا يلومنَّ إلا نفسه، فالقدوة أَعْيُن الناسِ ترقُبُه وتقتدي به، وزلَّته زَلةٌ لهم، أو زلة له هو من أعينهم، فالناس لا يغتفرون خطأ القدوة .

فثمار الصداقة الحسنة موقوفة على "رقابة الأسرة بحساسية مرهفة لا تشعر الابن أو الابنة بفِقدانه لحريته واهتزاز الثقة فيه، ولا تتركه في نفس الوقت فريسة لأصدقاء السوء"(١).

وإنّ السلوك الدينى الصحيح هو الأسلوب الأمثل للدعوة إلى الله بالقدوة، وعن طريق شرح معتقدات الإسلام وأخلاقه، وتبيين الخلق الرائع لسيدنا محمدﷺ فكان (خلقه القرآن)(٢) أي أن تعاليم الإسلام متمثلة في خلقه وسلوكه الحياتى .

فينبغي على المربين والوالدين وغيرهم التدرج في تربية من تحت أيديهم، بتقبيح الأخلاق السيئة؛ لأن إهمال الأولاد ضرره كبير، وخطره خطير، والمرحلة الثانية تزين قلوبهم بحلية الإيمان الصادق، والعبادة الخالصة، والخلق السمح؛ لأنهم فلذة الكبد، وثمرة الفؤاد، والذين بسعادتهم تتم سعادة الأسرة والمجتمع.

فعلى هذا فالقدوة أمر جلل، إن كانت حسنة جاء أصحابها بكل من اقتدى بهم في ميزانهم عند لقاء الله تعالى، فيالَسعادة من وطّن نفسة على العمل الصالح فقصد به وجه الله خالصًا وتأسّى به الناس، فَخيرُ الناس من تُذكرك بالله رؤيتُه، نسأل اللهَ لنا ولكم التوفيقَ لما يحبُ ويرضى، والحمدُ لله أولًا وآخرًا .

---

(١) الصداقة من منظور علم النفس: أسامة سعد أبو سريع، ص ٢٠٠، من إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت، دار المعرفة – يناير ١٩٧٨م.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم ٤٢٦٠١.

الخاتمة والنتائج

احتوى هذا البحث موضوعا عن القدوة في القرآن الكريم لتسليط الضوء على آيات تحدثت عن أهل الخير لنقتدى بهم، وأهل الشر لنحذر منهم ونبتعد عنهم، ونحذر الناس من شرهم، كى يختفى تأثيرهم السيئ .

وأن القدوة الحسنة ضرورية في الحياة، لأنها تؤثر بالإيجاب على سلوكيات الناس، وتعطى للقيم أسمى المعانى في ضمير من يقلدوهم، وما من شك أن الإنسان إذا كان قدوة غى الخير فله أجره وأجر من يقتدى به إلى يوم القيامة، ولذلك أمرنا الله عز وجل أن نسير على هدى الأنبياء والصالحين وحدثنا عنهم في كتابه ورغبنا في الاقتداء بهم.

وقد ظهرت نتائج في هذا البحث منها:

١ – أن الحياة لا تخلو من قدوة، لأنها في فطرة الإنسان وطبيعته، فهو مقلد لكل ما يراه ويطبع في ضميره، ومن كانت اللفته إلى اهمية اختيار القدوة الصالحة لنتاسى بها .

٢ – أن القدوة دعوة صامتة، تأتى عن طريق الاقتناع والحب وامتلاء النفس بمن نقلدهم .

٣ – الله تبارك وتعالى أدرى بما يصلحنا، وبما يحب أن يرى منا، من أجل ذلك أكرمنا ودلنا على من نقتدى بهم، حتى نكون في أحسن حال في الدنيا والاخرة .

٤ – وبضدها تتميز الأشياء، فكما توجد القدوة الصالحة، فكذلك توجد نماذج سيئة، حذرنا الله منهم، وهذا يدعونا إلى كشف أهل الشر والبعد عنهم .

التوصيات:

١– أن يكون كل منا له تأثير إيجابى من موقعه العملى والعلمى، حتى توافق أعمالنا أقوالنا، بالحرص على أن يرى الناس منا ما يشجع على مكارم الأخلاق .

٢- أن نعلم بأن في الحياة من يصلح أن يكون قدوة مطلقة وهم الأنبياء فنقتدى بهم فكل شيء لأنهم معصومون، وأن غيرهم يقتدى بهم في الخير فقط .

٣- الإكثار من الكتابة والحديث عن القدوات الصالحة من المرسلين والصالحين والقدامى والمعاصرين، من أجل تثبيت الناس على الخلق القويم .

٤- أن نشجع على التأسى بالصالحين ليس فقط ليكون فينا الصالحون، ولكن ليكون فينا المصلحون في كل نواحى الحياة.

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود العمادى محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربى، بيروت .

٢- أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنّكة الميدانى الدمشقى، دار القلم ن دمشق، ط الأولى ١٩٩٨م .

٣- أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النلاوى، دار الفكر ط ٢٥، ٢٠٠٧ م.

٤- أيسر التفاسيرلكلام العلى الكبير، جابر موسى عبدالقادر بن جابر أبو بكر الجزائرى، مكتبة العلوم والحكم ن المدينة المنورة، ط الخامسة ٢٠٠٣ م .

٥- الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخارى ومسلم في صحيحيهما ، ضياء الدين أبو عبدالله محمد عبدالواحد المقدسى، تحقيق / عبدالملك بن عدالله قدهيش، ط الثانية ٢٠٠٠ م

٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدى بن عجيبة الحسنى، تحقيق احمد عبدالله القرشى، الناشر حسن عباس زكى، القاهرة، ط ١٤١٩ هجرية .

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م .

٨- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى أبو محمد جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، بمصر، ط الثانية ١٩٥٥م.

٩- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى، المحقق سام بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٩٩٩ .

١٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ، تحقيق الإمام محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط الاولى ٢٠٠٢.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدى، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ .

١٢- تفسير الشوكانى المسمى بفتح القدير، محمد بن عبدالله الشوكانى، دار بن كثير، دمشق، ط الأولى ١٤١٤ هجرية.

١٣- تفسير الطبرى، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق الدكتور / عبدالله عبدالمحسن التركى، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠١ .

١٤- التفسير الوسيط، للدكتور وهبة مصطفى الزحيلى، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤٢٢ هجرية .

١٥- التوجيه والإرشاد النفسى، الدكتور / حامد عبدالسلام زهران، عالم الكتاب، ط الثالثة .

١٦- دراسات وتوجيهات إسلامية، أحمد سحنون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، أعده للشاملة ابو ياسر الجزائرى، ط الثانية ١٩٩٢ م .

١٧- سنن النسائى مطبوع مع شرح السيوطى وحاشية السندى، ط الأولى ١٣٤٨ هجرية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة .

١٨- شرح رياض الصالحين، محمدن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر – الرياض، ط ١٤٢٦ هجرية .

١٩- شمائل الرسول ﷺ، أحمد عبدالفتاح زواوى، دار القمة بالأسكندرية .

٢٠- صحيح البخارى، المحقق محمد صبحى بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط ٢٠٢١ م .

٢١- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، المحقق / محمد فؤاد عبدالباقى، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه – القاهرة .

٢٢- الصداقة من منظور علم النفس، د/ أسامة سعد أبوسريع، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمى ١٩٩٤ .

٢٣- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق / مصطفى عبدالواحد، مطبعة دار التأليف القاهرة، ط الأولى ١٩٦٨ م .

٢٤- مجلة البحوث الإسلامية، قسم كتب أصول الفقه، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والعوة والإرشاد السعودية .

٢٥- مجموعة الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة ٢٠٠٤ م. (والحمد لله حمدًا لا ينقطع ثوابه حت نلقاه)

٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، المحقق / محمد المعتصم بالله البغدادى، دار الكتاب العربى بيروت، ط الثالثة ١٩٩٦ م .

٢٧- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى الرازى الملقب بفخر الدين الرازى، دار إحياء التراث العربى – بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠ هجرية .

٢٨- النهى عن القدوة السيئة وأثرها، على بن بايف الشحود، مكتبة عين الجامعة، ط الأولى ٢٠١٣ م .

٢٩- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ / صالح بن عبدالله بن حميد إمام الحرم المكى، دار الوسيلة للنشر والتوزيع – جدة، ط الرابعة .

٣٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معانى القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكى بن أبى طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى ثم الأندلسى ثم القرطبى المالكى، المحقق / مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمى جامعة الشارقة بإشراف د. الشاهد البوشجى، ط الأولى ٢٠٠٨ م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	المطلب الأول: أهمية القدوة
٤	المطلب الثاني: نبينا محمد ﷺ هو المثل الأعلى القدوة
٥	المطلب الثالث: الاقتداء بسائر الأنبياء والمرسلين
٦	المطلب الرابع: الاقتداء بالصالحين
٧	المطلب الخامس: الاقتداء بالآباء
٨	المطلب السادس: القدوة السيئة بالأشرار، وأثرها
٩	الخاتمة والنتائج
١٠	المصادر والمراجع
١١	فهرس الموضوعات